

2008

رهانات إدماج الأمازيغية في المنظومة التعليمية

أحمد بوكوس
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [Language and Literacy Education Commons](#), and the [Linguistics Commons](#)

Recommended Citation

"رهانات إدماج الأمازيغية في المنظومة التعليمية" بوكوس, أحمد (2008) *Dirassat*. Vol. 13 : No. 13 , Article 1.
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol13/iss13/1>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

رهانات إدماج الأمازيغية في المنظومة التعليمية

Cover Page Footnote

عنوان الدرس الافتتاحي للسنة الجامعية 2000-2001 الجمعة 06 أكتوبر 2000 (*)

رهانات إدماج الأمازيغية في المنظومة التعليمية^(*)

أحمد بوكوس

المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
الرباط

ينص الميثاق الوطني للتربية والتكوين، في قسمه الثاني ضمن الفقرة المتعلقة باللغات، أن المملكة المغربية تعتمد في مجال التعليم سياسة لغوية واضحة منسجمة وقارة (ص51) وترتكز هذه السياسة اللغوية على ثلاثة مبادئ: تحسين تدريس اللغة وإتقان اللغات الأجنبية والتفتح على الأمازيغية.

ويعتبر تبني الأمازيغية في الميثاق خطوة في أفق الاعتراف الرسمي بها وإدماجها في مجالي التعليم والتكوين. وسأركز من خلال هذا العرض على النقطة الأخيرة محاولة منا دراستها وتحليلها متوخيا الوصول إلى هدف أساسي وهو المساهمة في إيجاد خطة علمية تمكن من إدماج الأمازيغية في النظام التعليمي إدماجا تاما. وبغية تحقيق هذا الهدف سيمر العرض عبر ثلاث محطات سأطرق فيها إلى الإشكالات التالية:

- أ - دوافع إدماج الأمازيغية في النظام التعليمي.
- ب - مناقشة قرار التفتح على الأمازيغية كما جاء في الميثاق الوطني للتربية والتكوين.
- ج - اقتراح مقاربة بديلة تتوخى إدماجا تاما ومعقلنا للأمازيغية في التربية والتعليم.

لماذا إدماج اللغة الأولى في التربية والتكوين؟

لقد أوضحت مسألة إدماج اللغة والثقافة الأمازيغيتين في النظام التعليمي بالمغرب مطلبنا ملحا منذ السبعينات على الأقل، وينبع هذا المطلب من دوافع اجتماعية وسياسية ومن دوافع تربوية وتكوينية.

1 - من الوجهة الاجتماعية والسياسية فإن جهات مختلفة من المجتمع المدني، بمن تضمه من مفكرين ومبشرين وغيرهم ما فتئت تناضل وتطالب بالاعتراف بالثقافة واللغة الأمازيغيتين. وقد كان خطاب جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني رحمه الله لـ20 غشت 1994 جوابا ضمنيا لهذا المطلب المشروع واعترافا صريحا بشرعية اللغة والثقافة

(*) عنوان الدرس الجامعي الافتتاحي للسنة الجامعية 2000-2001 (الجمعة 6 أكتوبر 2000).

الأمازيغيتين. وبعد ذلك جاء التصريح الحكومي الذي أدلى به السيد عبد الرحمن اليوسفي أمام البرلمان سنة 1998 ليؤكد على أهمية البعد الأمازيغي للهوية الوطنية. وأخيرا يأتي الميثاق الوطني للتربية والتكوين سنة 1999 ليقر إدماج الأمازيغية في المدرسة المغربية. هذه توطئة تاريخية وسياسية للمراحل التي قطعها الوعي بالأمازيغية لغة وثقافة.

2 - أما من الوجهة التعليمية والتكوينية فإن مبررات إدماج الأمازيغية في المدرسة المغربية كثيرة وهي نفس المبررات التي تعزز مكانة لغة الأم أو اللغة الأولى في النظام التعليمي. أوجز ذلك في الأطروحات الآتية وهي أطروحات يعتمدها الأخصائيون وخبراء علوم التربية.

- إن اكتساب استراتيجيات التعلم يتم بوتيرة سريعة إذا هو حصل عن طريق لغة الأم للمتعلم. فمثلا تكتسب مهارة القراءة ومهارة الكتابة ومهارة الاستدلال بسرعة إن هي لقتت عبر اللغة الأولى للمتعلم. وهذا ما يفسر البطء الذي يكتسب به الطفل المغربي هذه المهارة.

- إن التمكن من لغة الأم يحصل قبل التمكن من لغة ثانية، بمعنى أنه يتعذر أو يصعب على المتعلم أن يتعلم لغة ثانية إذا كان غير متمكن من لغته الأولى أي لغة وسطه العائلي، لأن عبرها يتم اكتساب السليقة اللغوية.

- إن التمكن من لغة التواصل الشفهي يتم قبل التمكن من الكتابة والقراءة بمعنى أن عملية التعلم التي يتم بشكل تدريجي تحتل فيها مهارة الشفهي المرتبة الأولى بحيث تسبق المهارات الأخرى كالقراءة والكتابة، بمعنى آخر، فإن على المتعلم أن يحسن التكلم والتواصل الشفهي قبل أن يمر إلى تعلم القراءة والكتابة.

- يصعب إتقان لغة ثانية إذا كان المتعلم يعاني من اختلال في الأمن اللغوي في لغته الأولى. معنى ذلك أن المتعلم الذي يشكو من حالة اضطراب لغوي في لغته الأولى من جراء عدم الاستقرار النفسي يصعب عليه أن يحس بالطمأنينة وهو يمارس لغة ثانية.

- يجمع خبراء اليونسكو على أن تعليم وتكوين الشباب والكبار بواسطة لغتهم الأولى هو أنجع الطرق لاستئصال جذور الأمية، ولعل غياب اللغة الأولى في برامج محو الأمية من الأسباب التي قد تفسر فشل حملات محاربة الأمية ببلادنا.

- إن تدريس وتعلم اللغة الأولى يضمن لدى المتعلم الاستمرارية الوجدانية والمعرفية بين المحيط العائلي من جهة والمؤسسة التعليمية والوسط المجتمعي من جهة

أخرى. ومعنى هذا أن المتعلم الذي يمر من فضاء تملأه ثقافة الوسط العائلي إلى فضاءات أخرى من مدرسة ومجتمع تغيب فيها هذه الثقافة وهذه اللغة يعيش لا ريب حالة نفسية وذهنية موسومة بعدم التوازن، أي حالة شبيهة بحالة انفصام الشخصية، وهي بالتأكيد حالة تحول دون نضج شخصية المتعلم.

هذا ما نلاحظه لدى كثير من التلاميذ والطلبة الذين يقضون سنوات عديدة في المؤسسة التعليمية دون استيعاب لغاتها وثقافتها استيعابا تاما وخلاقا حيث توظف لديهم هذه الثقافات وهذه اللغات توظيفا براغماتيا يتخذ في كثير من الأحيان شكل بريق لامع جذاب لكنه سطحي وسريع الزوال.

• إن المؤسسة التعليمية التي تتجاهل اللغة والثقافة الأولى للمتلم تتج في نهاية المطاف منتوجا يفتقر إلى إرساء هوياتي متين يمكنه من تقوية الروابط بالذات الجماعية.

• تعكس هذه الطروحات حقائق نلمس مرارتها من خلال دراسة مضامين البرامج والمقررات الجامعية والمدرسية، وهي مضامين كثيرا ما تغيب السمات التاريخية والثقافية واللغوية الوطنية المغربية، في حين تكتظ بالمعالم التاريخية وباللغات والثقافات الأجنبية من غربية ومشرقية على حد سواء.

طبعاً كان الانفتاح على الآخر شيئاً مفيداً ولكن الخطر يكمن في الانبطاح أمام الآخر وفي السقوط في أحضانه ليسلبنا هويتنا.

ولقد أدى بنا تغيب الذات الجماعية في تعليمنا إلى احتقار هذه الذات وإذكاء الشعور بكره الأنا في النفوس. ولعل ثقافة الشباب وما تروجه من نكت حول تخلف المغرب وحماسة المغاربة وسذاجتهم خير دليل على التمثلات السلبية التي تغمر وعينا الجماعي والتي تقدم كبديل للشباب ومنها الاغتراب والنفي ومغادرة الوطن... هذا هو الأفق والحلم والأمل الذي يطمح إليه شبابنا. ولا شك أن لتعليمنا وتكويننا جانبا من المسؤولية في ذلك.

3 - إن التدريس والتعلم عن طريق لغة ثانية (غير لغة الأم للمتلم) من الأسباب الرئيسية للرسوب المدرسي في المراحل الأولى من النظام التعليمي. إن ظاهرة الرسوب المدرسي في المغرب ظاهرة جليلة وكارثية ويمكن أن نلمسها عبر إحصائيات وزارة التربية الوطنية. إنها تطال 31,6% من التلاميذ في السلك الأول من التعليم الأساسي، 32,7% في السلك الثاني من التعليم الأساسي و 36,6% على مستوى التعليم الثانوي، أضف إلى هذا أن نسبة التمدرس لا تتجاوز 50% في الوسط القروي.

إن ظاهرتي ضعف التمدرس والرسوب المدرسي هما الرافدان الأساسيان لتفشي الأمية. وقد نتساءل: ما العلاقة بين استفحال الرسوب المدرسي وعدم استعمال اللغة الأولى في التعليم؟

تبين نتائج الدراسات الميدانية بجلاء أن العلاقة بين هاتين الظاهرتين هي علاقة سببية.

فالدول التي تعرف أقل نسبة من الرسوب المدرسي هي الدول التي تكون فيها لغة المدرسة هي اللغة الأولى للمتعلم وبالمقابل، فإن النسبة تكون عالية في الدول التي تتخذ لغة ثانية كلغة التعليم والتربية.

وفيما يخص المتعلم الأمازيغي، فإنه يعاني من الرسوب المدرسي أكثر من زميله الناطق بالعربية، حيث تفيد التحقيقات الميدانية أن المتعلم الأمازيغي يعاني من الإعاقة المدرسية بنسبة سلبية تفوق 20 نقطة بالنسبة لزميله الناطق بالعربية.

من خلال هذه المعطيات نلمس أن المدرسة التي تشتغل بلغة غير اللغة الأولى للمتعلم، تنتج منتوجا كفاءاته ومهاراته غير تامة على مستوى المهارات المستعرضة. والمهارات اللغوية ومهارات القراءة والكتابة والتواصلية. وأكثر من هذا، فإن هذا المتعلم يعاني من ضعف في القدرات الذهنية والمعرفية وهذا في أحسن الأحوال، أي عندما يصمد المتعلم ليستمر في التعلم. أما عندما يغادر المدرسة بسبب عدم قدرته على مساندة الدراسة وحصوله على إنجازات ضعيفة فإن مصيره هو الرسوب والسقوط بين مخالب الأمية والفقر. 4 - وأخيرا، فإن التعلم بواسطة لغة الأم حق من حقوق الانسان، وقد أقرته منظمة اليونسكو منذ نشأتها، وكل نظام تربوي لا يمكن المتعلم من ممارسة هذا الحق هو نظام مخالف للمواثيق التي ما فتئت تؤكد على ذلك.

ويثبت خبراء علوم التربية أن الأداة اللغوية انطبيعية والمثالية في التربية والتكوين هي اللغة الأولى للمتعلم حيث يكتسب عبرها القدرات والمهارات الذهنية والمعرفية، بها يتعلم مهارات القراءة والكتابة وبواسطتها تتبلور شخصيته القاعدية.

وتوضح الدراسات الميدانية أن المدرسة التي تخالف هذا المبدأ العام تنتج أشباه متعلمين، ذوي مهارات ضعيفة، وشخصية غير متوازنة. كما أن هويتهم غير متينة وشعورهم بالهوية الجماعية وبالمواطنة كثيرا ما يكون ضعيفا. لذلك فإن المدرسة التي تتجاهل اللغة الأولى للمتعلم تنتج الميز اللغوي والثقافي.

طبعا، إن هذه الصورة هي صورة عامة تعكس الواقع العام، وهي في عموميتها ليست مطبقة بحيث لا تنطبق على جميع المتعلمين، إذ هناك أقلية من المتعلمين يستطيعون بفضل قدراتهم الذهنية الخارقة أن يتجاوزوا الكثير من العوائق، لكن لا يجوز أن تصوغ حكما عاما انطلاقا من حالة خاصة بأقلية من المتعلمين وغير المتعلمين هو الرسوب والامية، وإن لم تكن أمية أبجدية فهي وظيفية، ومضاعفات الأمية في مجال التنمية المستدامة غير خافية على أحد.

خطاب السلطة حول الأمازيغية :

في أفق إصلاح النظام التعليمي، جاء الميثاق الوطني للتربية والتكوين ليقدم تصورا عاما ومقترحات علمية، يتضمن القسم الأول من هذا الميثاق المبادئ الأساسية والمرتكزات الثابتة لنظام التربية والتكوين والغايات الكبرى المتوخاة منه. أما القسم الثاني فهو يقدم ستة مجالات موزعة على تسع عشرة دعامة للتغيير وهي: نشر التعليم وربطه بالمحيط الاقتصادي، والتعليم البيداغوجي، والرفع من جودة التربية والتكوين، والموارد البشرية، والتسيير والتدبير، وأخيرا الشراكة والتمويل.

تدرج مسألة اللغة الأمازيغية ضمن المجال الثالث المتعلق بالرفع من جودة التربية والتكوين، إذ خصص البنود 115 و116 للتفتح على الأمازيغية.

يقول البند 115، ص 52 ما يلي:

يمكن للسلطات التربوية الجهوية اختيار استعمال الأمازيغية أو أية لهجة محلية للاستئناس وتسهيل الشروع في تعلم اللغة الرسمية في التعليم الأولي وفي السلك الأول من التعليم الابتدائي. وستضع سلطات التربية والتكوين الوطنية رهن إشارة الجهات بالتدرج وحسب الإمكان الدعم اللازم من المربين والمدرسين والوسائل الديدكائية.

ويضيف البند 116 في نفس الصفحة:

تحدث في بعض الجامعات بدءا من الدخول الجامعي 2000-2001 مراكز تعني بالبحث والتطوير اللغوي والثقافي الأمازيغي، وتكوين المكونين وإعداد البرامج والمناهج الدراسية المرتبطة بها.

بادئ ذي بدء، يجب أن نسجل هنا أنه لأول مرة تدرج الأمازيغية في نص رسمي متعلق بالتعليم، وهي خطوة إيجابية في أفق تأسيس مدرسة متجدرة في المحيط اللغوي والثقافي المغربي ومنفتحة على الحداثة، مدرسة قادرة على تربية وتكوين مواطنين

مؤهلين لمواجهة رهانات العولمة مواجهة سليمة وناجعة إن إدراج الأمازيغية في المنظومة التعليمية يعد مبادرة حميدة، ولكنها مبادرة أولية علينا أن نعمقها ونوسعها حسب المبادئ التربوية الأساسية وحسب المتطلبات المجتمعية.

وفي إطار منهج بناء وإيجابي أود أن أقف لحظة وجيزة عند تحليل الصيغة التي ورد بها إدماج الأمازيغية في النظام التعليمي المغربي. إنه تصور متسم باللبس والإبهام:

1 - لبس وإبهام فيما يتعلق بوضع الأمازيغية في التعليم، إذ لا ندري هل ستدرس هذه اللغة كمادة أو ستوظف كلفة تدريس.

ويتضح هذا اللبس من عنوان الفقرة ذاتها حيث يقول بالفتح وليس بالتدريس.

وتفيد الفقرة أنه بالإمكان استعمال الأمازيغية للاستثناس وهذا الاستعمال ما هو إلا اختياري، ووظيفة الأمازيغية فيه ثانوية ومجال استعمالها هي الجهة. إذن فإدماج الأمازيغية في التعلم هو في تصور الميثاق إدماج رمزي إذ هو اختياري وثانوي وجهوي.

2 - لبس وإبهام فيما يتعلق بالتسمية حيث تتأرجح التسمية بين اللغة واللهجة، ويتضح التذبذب أكثر في النص الفرنسي حيث تسمى الأمازيغية تارة Tamazight وتارة Langue amazighe وتارة لهجة محلية Dialecte régional وتارة أخرى amazighe.

أما النص العربي فقد تجنب استعمال مفردة اللغة حيث يتحدث عن الأمازيغية في حين يستعمل كلمة اللغة حين يتعلق الأمر بالعربية وباللغات الأجنبية.

إن تجنب تسمية الأمازيغية بلغة ينطوي على رؤية تحقيرية ما زالت راسخة في أذهان البعض، وهي رؤية إيديولوجية بالأساس.

3 - لبس وإبهام فيما يتعلق بوظيفة الأمازيغية كذلك، حيث تقرأ في البند 115 أن وظيفة الأمازيغية هي الإستثناس وتسهيل الشروع في تعلم اللغة العربية.

فالإشكال المطروح هنا هو كيفية تيسير تعلم العربية لدى الطفل الأمازيغي، فالميثاق يطرح استعمال الأمازيغية كوسيلة تسهل عملية تعليم العربية.

لنحلل بإيجاز هذه الفرضية الغربية مستعينين ببعض الأمثلة:

أ - على مستوى تعلم صوارة اللغة العربية، فالمعلم الذي يستهدف تلقين الطفل الأمازيغي دائر النبوة الخاصة بالجملة الاستفهامية في اللغة العربية عليه أن يوظف المكتسب اللغوي لدى التلميذ الأمازيغي. وهكذا سينجز هذا التلميذ جملة مثل:

هل ذهبنا الى المسجد؟ إنجازا مطابقا للنبر الخاص بلغته الأولى أي نبأ صاعدا وسيكون بذلك إنجازا خاطئا.

ب - على مستوى تعلم معجم اللغة العربية، سيسقط معلمنا في نفس المأزق. إذا هو حاول استثمار معجم الأمازيغية قصد تلقين معجم اللغة العربية للطفل الأمازيغي. فمثلا، معجم جسم الإنسان في الأمازيغية مغاير تماما لنفس المعجم في العربية: تُخَفُّ مقابل الرأس، تينزرت مقابل الأنف، أضرار مقابل الرجل... الخ.

ج - أما على مستوى تعلم التراكيب الخاصة، فإن التلميذ الأمازيغي سيسقط في بعض التداخلات البنيوية إذا هو وظف تراكيب لغته الأولى حين يتواصل بالعربية، فمثلا: ئِسْوَيْنَكَمَّ دِيخَفَّ نَسُّ سِيوَيْدِي إِلَى: فكر في رأسه، وَيَوْتُ أَفُوسُ نَسُّ إِلَى: ضرب يده يتضح إذن فرضية استعمال الأمازيغية كأداة أو كقنطرة لتلقين العربية بيسر هي فرضية خاطئة تؤدي إلى ترسيخ أخطاء تترسخ في المقدر السانية للطفل الأمازيغي، وبذلك تكون النتيجة المحصلة مخالفة للغاية المتوخاة بل مناقضة لها تماما.

فإذا نحن اقتنعنا بعدم صواب التصور الذي صاغه الميثاق الوطني للتربية والتكوين بصدد الأمازيغية نجد أنفسنا أمام خيارين:

- إقصاء الأمازيغية لا رجعة فيه أو إدماج الأمازيغية إدماجا تاما وعادلا. وسيكون لا محالة تبني الخيار الأول خطأ فادحا يتناقض مع اتجاه التاريخ ومع التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها المجتمع المغربي.

- أما الخيار الثاني فهو يقتضي تصورا علميا وتدابير إجرائية كفيلة بإنجاح عملية إدماج الأمازيغية في النظام التعليمي.

مبادئ إدماج الأمازيغية:

إذا سلمنا بأن اللغة الأمازيغية لغة وطنية وأنها تعبر عن مكون أساسي للهوية الوطنية وأن تعلمها حق غير قابل للتصرف، حينئذ يصبح إدماجها في التعليم فرضا تاما على أساس الوعي والمسؤولية. وهذا الإدماج قابل لتصورات مختلفة.

التصور الذي اقترحه يرتكز على أربعة مبادئ: التعميم والإجبارية، الشمولية والتوحيد.

1 - تعميم تعليم الأمازيغية يعني أن يعم كافة التلاميذ المغاربة الناطقين بالأمازيغية والناطقين بالعربية مع مراعاة خصوصيات كل فئة من الناحية البيداغوجية.

والهدف من تعميم تعليم الأمازيغية هو تربية وتكوين الأجيال الصاعدة على أساس التعارف والوثام والالتحام والاحترام المتبادل في إطار مبدأ الوحدة في التنوع.

2 - على تعليم الأمازيغية لغة وثقافة أن يكون إجباريا بالنسبة لكافة التلاميذ المغاربة في البوادي والحواضر، وعلى كافة أصعدة النظام التعليمي كمادة إجبارية لها برامجها ونظام تقويمها، أما اختيارية تعليم الأمازيغية فسيؤدي الى تهميشها وعدم الاهتمام بها من طرف المتعلمين.

3 - إن تعليم الأمازيغية يجب أن يشمل جميع مستويات النظام التعليمي من أولي وأساسى وثنائوي وعالي، مع مراعاة الحاجيات والخصوصيات التربوية والديداكتيكية لكل سلك من الأسلاك.

4 - إن اللغة المدرسة المنشودة هي الأمازيغية الموحدة. وعملية توحيد لهجات الأمازيغية هذه ستتم بالتدرج أي أنه في المرحلة الأولى توظف في العملية التعليمية اللهجات المحلية (تاريغت - تامازيغت - تاشلحيت) كل منها في مجالها، مع التركيز على البنيات الصوتية والصرفية والمعجمية المشتركة بموازاة مع عملية تنميط الأمازيغية خصوصا في ميدان الإبداع المعجمي، وفي المرحلة الموالية سيكون من الممكن - من الناحية التقنية - تدريس الأمازيغية المشتركة.

إن من الإجراءات والتدابير المستعجلة والواجب اتخاذها في أفق إدماج الأمازيغية في المنظومة التعليمية المغربية خلق مؤسسة وطنية ومراكز جهوية تكون مهامها الأساسية هي:

- بلورة تصور علمي لإدماج الأمازيغية في التعليم.
- بلورة تصور عملي لإدماج الأمازيغية في التعليم.
- تدبير الإدماج من الناحية الإدارية والتربوية والمادية.
- إيجاد البرامج والمناهج والوسائل البيداغوجية.
- تكوين المكونين.
- تنميط البنى اللغوية.
- تنميط الكتابة.

في غياب هذه المؤسسة والمراكز المتخصصة سيكون لا محالة مآل تجربة تدريس الأمازيغية هو الفشل، أو ستكون في أحسن الأحوال تجربة عشوائية تصطدم بصعوبات

الواقع وبعوائق الممارسة التعليمية كما هو الحال بالنسبة لعملية التعريب في بداية تثمين اللغة والثقافة الأمازيغية وإدماجها المعقلن في كافة المجالات المحلية والوطنية، بدءاً بالمؤسسة التعليمية.

خلاصة:

يتضح من هذا العرض أن تغييب أو تجاهل اللغة الأولى للمتعلم يؤدي إلى جعل النظام التعليمي والتربوي نظاماً ينتج الميز وعدم تكافؤ الفرص بين المتعلمين. لذا يمكن اعتبار هذا النظام بمثابة مؤسسة اجتماعية لها وظيفة إعادة إنتاج البنية الاجتماعية بحيث تنتج العلاقات الاجتماعية السائدة وتكرس الفوارق الاجتماعية بدل أن تكون أداة للتربية والتكوين وحافزاً للدينامية والتغيير. وبخصوص الأمازيغية، فإن الإقصاء الذي عانت منه، خصوصاً في المؤسسة التعليمية، هو في نهاية الأمر مسخ للهوية الوطنية قد طال المغاربة جميعاً. ولعل من التحديات الكبرى التي سيواجهها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية هو إعادة التوازن لهذه الهوية بتسيخ الأمازيغية لغة وثقافة في الكيان المغربي كبعد وطني وحدائي، وفي هذا الأفق بالذات وتندرج التغيرات الأخيرة التي طرأت على السياسة اللغوية والثقافية الرسمية.